

السعي وراء الفترة الألفية السعيدة

الفصل الأول

تقاليد نبوءة سفر الرؤيا

سفر الرؤيا اليهودي والمسيحي القديم :

لقد تجمعت المواد الخام المختلفة التي خرج منها الايمان الثوري بالآخريات (ص ١٩) تدريجيا خلال أواخر العصور الوسطى وهي تتألف من مجموعة متنوعة من النبوءات الموروثة من العالم القديم ، وفي الأصل كانت كل هذه النبوءات من اختراع المجموعات الدينية اليهودية في البداية ، والمسيحية فيما بعد لتواسي نفسها وتدعمها عندما كانت تواجه بالتهديد أو بحقيقة الاضطهاد وأنه من الطبيعي بدرجة كافية أن أقدم هذه التنبوءات لابد قد انتجت من قبل اليهود وما ميز اليهود بشكل قاطع عن الشعوب الأخرى من العالم القديم كان موقفهم من التاريخ ، وبشكل خاص تجاه دورهم فيه ، وكان اليهود - باستثناء الفرس إلى حد ما - وحدهم من قسام بالجمع بين الايمان الراسخ باله واحد وبين الاعتقاد الذي لا يقبل المساومة ولا يهتز أنهم هم انفسهم كانوا الشعب المختار من قبل الرب الواحد ، وكانوا على الأقل منذ الخروج من مصر مقتنعين بأن إرادة يهوا مركزة على بني إسرائيل ، وأن بني إسرائيل وحدهم مكلفون بتحقيق هذه الارادة ، وكانوا على الأقل منذ أيام الأنبياء مقتنعين بأن يهوا لم يكن مجرد إله وطني قوي بل الرب الواحد القادر للتاريخ ، والذي يتحكم بمصائر كل الأمم ، وصحيح أن الاستنتاجات التي استمدها اليهود من معتقداتهم قد اختلفت بدرجة كبيرة كان هناك العديد ، مثل « أشعيا الثاني » ، ممن شعروا بأن

الانتخاب الالهي فرض مسؤولية اخلاقية خاصة عليهم هي الالتزام باظهار العدل والرحمة في تعاملهم مع كل الناس، وفي نظرهم إن المهمة الالهية المعينة لبني اسرائيل كانت تنوير غير اليهود من الشعوب، وهكذا يحمل خلاص الرب الى اطراف الارض، ولكن الى جانب هذا التفسير الاخلاقي وجد تفسير آخر ، أصبح أكثر جاذبية، حيث خضع الحماس القديم للوطنية لصدمة وضغط الهزائم المتكررة والنفي والتشتيت ، وبشكل دقيق لأنهم كانوا متاكدين تماما من أنهم الشعب المختار، فإن اليهود مالوا الى الاستجابة للخطر والاضطهاد، والصعوبات بخيالات الانتصار الشامل والرخاء غير المحدود الذي سيمنحه يهوا بقدرته الكلية لشعبه المختار عند اكتمال الزمان (ص ٢٠)

ويوجد في كتب النبوءات فقرات - يعود بعضها الى القرن الثامن - تدنباً بأنه من خلال كارثة كونه هائلة ، ستشرق فلسطين وستكون شيئاً لا يقل عن عدن جديدة ، جنة مستردة ، وبسبب إهمالهم ليهوا إن الشعب المختار يجب ان يعاقب في الواقع بالمجاعة والطاعون ، والحرب والأسر ، وفي الواقع يجب ان يخضعوا لحساب دقيق وشديد لدرجة أنه سيحدث عزلا فظيما عن الماضي المذنب ، ولا بد ان يكون يوماً بالفعل ليهوا ، هو يوم الغضب عندما تظلم الشمس والقمر والنجوم ، وتنطوي السموات معا وتهتز الأرض وقتها يجب ان يكون هناك حساب فعلي عندما يصبح الكفار - هم الذين عند بني اسرائيل لم يؤمنوا بالله ، وأيضا أعداء بني اسرائيل من الأمم الوثنية - خاضعين للحساب ، وينبذوا إذا لم يدمروا كلية ولكن هذه ليست النهاية ، إن « البقية الناجية » من بني اسرائيل ستنجو من هذا العقاب ، ومن خلال هذه البقية سيتحقق الحلم الالهي ، وعندما يعود تجديد الأمة بهذا الشكل وتنصلح ستتوقف يهوا عن الانتقام ، ويصبح المنجي ، وستجتمع البقية الصالحة - معاً كما كان يعتقد مؤخراً ، مع الصالحين من الأموات الذين بعثوا الآن مرة أخرى في فلسطين ، وسيسكن يهوا بينهم كقاض وحاكم ، وسيحكم من قدس أعيد بناؤها ، وستصبح صهيون العاصمة الروحية للعالم

إليها تسعى كل الأمم وسيكون عالم عدل ، يحتمي فيه الفقراء ،
وعالم سلام وانسجام حيث تصبح الحيوانات الخطرة البرية اليفسة
وغير مؤذية • وسيسطع القمر كالشمس ويزداد ضوء الشمس
سبعة أضعاف ، وستصبح الصحارى والأراضي البور خصبة
وجميلة ، وسيكون هناك وفرة في الماء والعلف للمواشي وللقطعان ،
وسيكون للإنسان هناك وفرة في القمح والنبذ والسمك والفاكهة
وستتكاثر القطعان بدرجة كبيرة ، وبالتحرر من المرض والحزن من
كل نوع ، ومن عدم التكافؤ ، والعيش وفق قانون يهوا المكتوب الآن
في قلوبهم ، سيعيش الشعب المختار في فرح وسرور •

وفي سفر الرؤيا الذي كان موجها الى المراتب الدنيا من السكان
اليهود في صورة من الدعاية الوطنية إن النبوة أكثر بساطة وأكثر
تبجحا ، وهذا بالفعل مدهش في سفر الرؤيا القديم « الرؤيا » أو
« الحلم » الذي يشغل الفصل السابع من كتاب دانيال الذي تم
تأليفه في نحو عام ١٨٥ ق • م في لحظة حرجة غريبة في التاريخ
اليهودي ، ولاكثر من ثلاثة قرون منذ نهاية النفي البابلي تمتع يهود
فلسطين بمعيار عادل من السلام والأمان في البداية تحت حكم
الفرس وفيما بعد تحت البطالسة (ص ٢١) ولكن الحال تغير عندما
انتقلت فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد الى ايدي الاسرة
الحاكمة السلوقية السورية - اليونانية ، وكان اليهود انفسهم
منقسمين بشكل مرير حيث أنه في حين تبنت الطبقات العليا بحماس
الأخلاق والعادات اليونانية ، تعلق الشعب العادي بعزم أكبر
بمعتقدات آبائهم ، وعندما بلغ تدخل الملك السلوقي انطيوخوس
الرابع ابغانس ، نيابة عن الطرف الموالي لليونان الى حد منع كل
الشعائر الدينية ، كان رد الفعل هو الثورة المكابية ، وفي الرؤيا في
كتاب دانيال الذي تم تأليفه في أوج الثورة ، رمزت أربعة وحوش الى
القوى العالمية الأربع المتوالية : البابليون ، الميديون (بدون تاريخ) ،
الفرس واليونان والأخيرة منها ستكون مخالفة لسائر كل الممالك ،
فتاكل الأرض كلها وتدوسها وتسدحها وعندما دالت هذه

الامبراطورية بدورها ، فإن اسرائيل مشخضا بشكل « ابن الانسان » :

« جاء مع سحب السماوات ، وجاء الى الايام القديمة
وهناك اعطي السيادة والتألق ومملكة تجعل كل الشعوب .
والأمم واللغات تخدمه ، إن سيادته ، سيادة دائمة لن تزول .
وعظمة المملكة تحت كل السمماء اعطيت لشعب القديسين
الاعلين »

ويذهب هذا الى مدى أبعد مما ذهب اليه اي من الانبياء فلاول مرة تخيلت مملكة المستقبل البهية وهي لاتضم ببساطة فلسطين بل العالم كله .

وهنا يمكن للمرء بالفعل ان يعرف نموذج ما سيحدث ، وهو سيبقى الخيال الرئيس للايمان الثوري بالاخرويات : يقع العالم تحت هيمنة قوة طاغية شريرة ذات تدمير غير محدود - وهي قوة علاوة على ذلك تتخيل على أنها ببساطة بشرية بل شياطينية ، وطغيان هذه القوة سيصبح عنيفا أكثر فأكثر ، وستصبح معاناة ضحاياها غير محتملة أكثر فأكثر - حتى تدق الساعة فجأة وعندها يكون قديسو الرب قادرين على النهوض لازالتها وعندها سيرث القديسون أنفسهم ، والناس المقدسون الذين كانوا حتى اليوم يتأهون تحت نعال الظالمين سيرثون بدورهم السيادة على الأرض كلها وسيكون هذا أوج التاريخ ، ومملكة القديسين لن تفوق فقط في بهائها كل الممالك القديمة بل لن يكون لها تال ، إنه بفضل هذا الخيال الجامع الذي مارسه سفر الرؤيا اليهودي والايमान بالاخرويات من خلال مشتقاته ، كان تأثير التخيل على غير القانعين والمخفقين في العصور التالية - واستمر هذا الفعل زمنا طويلا بعد ان نسي اليهود أنفسهم وجوده نفسه .

ومذ ان تم ضم فلسطين من قبل بومبي في ٦٣ ق . م حتى حرب ٦٦ - ٧٢ م (ص ٢٢) صاحب صراعات اليهود ضد

سادتهم الجدد ، الرومان وأثارها تدفق من المقاتلين الرؤيين ، وبدقة شغلت هذه الدعاية الموجهة للشعب العادي دورا كبيرا في التخيلات المتعلقة بالمخلص الأخرى أي المسيح ، وهذا الخيال كان بالطبع قديما بالفعل ، إذ كان المخلص بالنسبة للأنبياء هو الذي عليه أن يحكم الشعب المختار في نهاية الزمان ، وكان عادة هو يهوا نفسه ، وفي الديانة الشعبية من جهة أخرى يبدو أن المسيح المنتظر قد شغل دورا كبيرا منذ أن دخلت الأمة في مرحلة انحسارها السياسي ، وكان في الأصل يتخيل في صورة ملك حكيم بشكل خاص ، وعادل وقوي من نسل داود ، يقوم باستعادة الثروات الوطنية . وأصبح المسيح أكثر تفوقا على طبيعة البشر كلما أصبحت الحالة السياسية أكثر يأسا .

وفي رؤيا دانيال يبدو ابن الانسان الذي يظهر راكبا من السحاب انه يشخص بني اسرائيل ككل ، ولكن هنا بالفعل ربما يكون قد صور في صورة فرد فوق البشر ، وفي أسفار الرؤيا لباروخ وعزرا التي تعود بالاساس للقرن الأول الميلادي ، الكائن فوق البشري محقق بشكل لا يقبل الجدل كرجل ، وملك محارب موهوب بقوى معجزة فريدة .

وفي عزرا يظهر المسيح كسبع يهوا ، الذي عندما يزار فإن الآخر وأسوأ الوحوش - وهو الآن الذئب الروماني - يتفجر ملتهبا ويستهلك ، ومرة أخرى ان ابن الانسان الذي يبني أولا العديد من الوثنيين بالنار والعواصف التي تخرج مع نفسه سيجمع القبائل العشرة التائهة من الأراضي الغربية ويقوم في فلسطين مملكة يمكن فيها لاسرائيل الموحدة من جديد أن تزدهر في بهاء وسلام .

وطبقا لباروخ لا بد أن يأتي زمان صعوبات رهيبة وظلم ، وهو زمان الامبراطورية الأخيرة وهي الأسوأ أي الرومان ، وعندما يصل الشر الى أعظم وتيرة يأتي العدل ، ويظهر المسيح المنتظر ، وهو محارب قوي سيهزم وسيطره ويدمر جيوش الأعداء ، وسيأخذ قائد الرومان أسيرا ويحضره مقيدا بالسلاسل الى جبل صهيون حيث

يعدمه ، وسيقيم مملكة سوف تدوم حتى نهاية العالم ، وكل الأمم التي حكمت اسرائيل ستقع تحت السيف ، وبعض اعضاء الأمم الباقية ستخضع للشعب المختار ، وسيبدأ عصر الذعيم الذي لايعرف الألم والمرض والموت في غير الاوان ، والعنف والنزاع والحاجة والجوع ، وفيه تعطى الأرض ثمارها بعشرات الالوف من الأضعاف ، لكن هل ستدوم هذه الجنة الأرضية الى الأبد أم لبضع قرون فقط الى حين استبدالها بمملكة عالمية أخرى ؟

لقد اختلفت الآراء حول هذا الأمر ، ولكن السؤال كان على أي حال مسألة أكاديمية ، وبشكل مؤقت أو أبدي إن مثل هذه المملكة كانت تستحق القتال من أجلها ، وأسفار الرؤيا هذه قد رسخت أنه بحلول مملكة القديسين سيظهر المسيح المنتظر نفسه بصورة لا تقهر في الحرب ٠ (ص ٢٣) ٠

وكما تحت حكم الملوك الوكلاء ، أصبح الصراع مع روما مريرا أكثر فأكثر وأصبحت التخيلات المسانحة لدى كثير من اليهود شاغلا مستحوذا ، و طبقا ليوسف كانت بشكل رئيس اعتقادا في الحلول الوشيك ملك مسيحي ، ودفع هذا باليهود الى حرب انتحارية انتهت بالاستيلاء على القدس وتخريب المعبد في ٧٠ م ، وحتى سيمون بر - كوخبا الذي قاد الصراع الكبير من أجل الاستقلال الوطني في ١٣١م كان مايزال يحيى كمخلص منتظر ، ولكن القمع الدموي لهذه الثورة والقضاء على الوطنية السياسية وضع نهاية لكل من العقيدة الرؤوية ولرغبة اليهود في القتال ، ومع أنه في القرون التالية قام عدد من المسيحيين المزيفيين بين الجماعات المنشقة فإن ما قدموه كان مجرد إعادة ترتيب للبيت الوطني وليست إقامة امبراطورية عالمية رؤوية ، وعلاوة على ذلك فإنهم نادرا ما كانوا وراء ثورات مسلحة ، ولم يحدث هذا مطلقا بين اليهود الأوربيون ، ولم يعد اليهود بل المسيحيون هم الذين شرعوا يتوسعون في تقاليد نبوءات حلم دانيال ، وهم الذين استمروا على التعلق بها والاستلها منها ٠

وباتت افكار المسيح الذي عانى ، ومات والمملكة التي كانت روحية
صرفة ، هذه الافكار التي أصبحت فيما بعد تعدد قلب العقيدة
المسيحية ، ابعد من أن تكون مقبولة من قبل كل المسيحيين الأوائل ،
ومنذ ذلك الحين فإن المشكلة كما صيغت من قبل يوهانس وايس
Johannes Weiss والبرت شويتزر Albert Schweitzer منذ
نحو ستين سنة : كان الخبراء يتجادلون حول مدى تأثير تعاليم
المسيح الخاصة بالرؤية اليهودية ، وإذا كانت هذه المسألة واقعة
بعيدا خارج مجال الدراسة الحالية ، فإن بعض الأقوال التي تعزوها
الأنجيل للمسيح تقع ضمنها بشكل واضح ، إن النبوءة التي احتفل
بها والتي سجلها متى بالتاكيد ذات دلالة كبيرة وتبقى هامة سواء
نطق بها المسيح حقا ، أو اعتقد أنه فعل ذلك : « لأن ابن الانسان
سيأتي في بهاء ابيه مع ملائكته ثم يكافئ كل انسان حسب اعماله ،
وحقا أقول لكم سيكون هناك بعض التوقف هنا للذين لن يتذوقوا
الموت حتى يروا ابن الانسان يأتي في مملكته » .

وليس مدهشا أن عددا كبيرا من المسيحيين الأوائل فسروا هذه
الأشياء بتعابير الايمان الرؤي بالأخريات الذي كانوا بالفعل
يألفونه ، ومثلهم مثل عدد كبير جدا من أجيال اليهود قبلهم رأوا
التاريخ مقسما الى عصرين : أحدهما سالف والثاني لاحق للحلول
المنتصر للمسيح .

حتى أنهم كثيرا ما أشاروا الى العصر الثاني « بالأيام الأخيرة »
أو « العالم الآتي » وهذا لايعني أنهم كانوا يتوقعون نهاية سريعة
مفاجئة وعنيفة لكل شيء بل على العكس فإنه لوقت طويل . كانت
اعداد من المسيحيين مقتنعين ليس فقط بأن المسيح سيعود بسرعة
بقوة وعظمة بل أيضا أنه عندما يعود فإن ذلك سيكون لاقامة المملكة
المسيحية على الأرض (هر ٢٤) وكانوا يتوقعون بثقة مملكة
تدوم ، سواء لآلاف من السنين أو لفترة غير محددة ، ومثل
اليهود ، عانى المسيحيون من الاضطهاد واستجابوا له بإثبات
نشاط وقوة أكثر ، للعالم ولأنفسهم ، وايمانهم بأن عصر المسيح

المنتظر وشيك ، حيث تصحح أخطاؤهم ويباد اعداؤهم ، وليست مدهشة الطريقة التي تخيلوا بها التحول العظيم الذي كان ايضا يدين بالكثير الى اسفار الرؤيا اليهودية ، التي كان لبعضها في الواقع انتشارا اوسع بين المسيحيين أكثر منه بين اليهود ، وفي السفر المعروف باسم « رؤيا يوحنا » تمتزج العناصر اليهودية والمسيحية في نبوءة أخروية ذات قوة شعرية كبيرة ، وهنا كما في كتاب دانيال ترمز عشرة وحوش رهيبة ذات قرون الى القوة العالمية الأخيرة وهي الآن الدولة الرومانية المضطهدة ، في حين ان وحشا آخر يرمز الى الكهنوت الروماني الاقليمي الذي طالب بتشريف الهي للامبراطور :

« ووقفت فوق رمل البحر ورأيت وحشا طالعا من البحر وله عشرة قرون واعطي ان يصنع حربا مع القديسين ويغلبهم ، واعطي سلطانا على كل قبيلة ولسان وامة ، فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض ، الذين ليست اسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة ثم رأيت وحشا آخر طالعا من الأرض ويصنع آيات عظيمة ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أعطي ان يصنعها (ص ٢٥) .

ثم رأيت السماء مفتوحة ، وإذا فرس ، والجالس عليه يدعي أمينا وصادقا ، وبالعادل يحكم ويحارب والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لايسين بزا أبيض ونقيا ، ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم

ورأيت الوحش وملوك الأرض واجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الجالس على الفرس ومع جنده ، فقبض على الوحش والنبي الكذاب مع الصانع قدامه الآيات التي بها اضل الذين قبلوا سمة الوحش ، والذين سجدوا لصورته وطرح الأثنان حيين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت ، والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس وجميع الطيور شبعت من لحومهم

ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع، ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش . . . فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة «وعند نهايتها - الفترة الألفية بالمعنى التام للكلمة - تتبع هناك البعث العام للأمم والحساب الأخير عندما يكون الذين لم يوجدوا مكتوبين في كتاب الحياة قد طرحوا في بحيرة النار ، وتهبط القدس الجديدة من السماء لتكون بيتا وسكنا للقديسين الى الأبد :

« ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة ، لان السماء الأولى والأرض الأولى مضتا ، والبحر لا يوجد فيما بعد ، وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة اورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كهروس مزينة لرجلها ، وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا ، والله نفسه يكون معهم إليها لهم وسيسمع الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت ، وقال الجالس على العرش : ها أنا اصنع كل شيء جديدا . . . وذهب بي بالروح الى جبل عظيم عال واراني المدينة العظيمة اورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله ، لها مجد الله ولمعانها شبه اكرم حجر كحجر يشب بلوري » .

وبذا كيف يمكن للناس اخذ هذه النبوءة بحرفيتها ، وبأي إشارة محمومة ينتظرون تحقيقها في الحركة المعروفة بالمونتانية ، وفي ١٤٦ م حدث في فريجيا أن رجلا مونتانيا أعلن نفسه أنه تجسيد للروح القدس « روح الحقيقة » وكان طبقا للكتاب الرابع من العهد الجديد سيديشر بأشياء آتية ويبوح بها ، وجمع حوله عددا من المنجذبين وأغلبهم مأخوذ بالتجارب الرؤوية التي كانوا يعتقدون بثقة بأنها ذات منشأ رباني والتي أعطوها حتى اسم « العهد الثالث » وكان موضوع استنارتهم الروحية المجيء الوشيك للمملكة : فقد كانت القدس الجديدة على وشك النزول من السماء الى الأرض الفريجانية حيث تصبح مسكنا للقديسين ، واستدعى المونتانيون

طبقا لذلك كل المسيحيين الى فريجيا لينتظروا هناك المجيء الثباني بالصيام والصلاة والتوبة المريرة .

وكانت حركة متقشفة عنيفة ، متعطشة للمعاناة وحتى للشهادة ، لانه او لم يكن الشهداء فوق الجميع هم الذين سيبقون في الجسد وسيكونون المسموح لهم بالعيش في الفترة الالفية السعيدة ؟ ولم يكن أي شيء موحيا بانتشار المونتانية بقدر هذا الاضطهاد نفسه ، ومنذ عام ١٧٧م وما يليه عندما اضطهد المسيحيون مرة اخرى في اقاليم كثيرة من الامبراطورية توقفت المونتانية فجأة عن أن تكون مجرد حركة محلية وامتدت طولا وعرضا ليس فقط عبر اسيا الصغرى بل الى افريقيا ، وروما وحتى الى بلاد الغال ، ومع أن المونتانيين لم يعودوا يتطلعون الى فريجيا ، فإن ثقتهم بالظهور الوشيك للقدس الجديدة لم يهتز ، وكان هذا صحيحا حتى عند تيرتوليان Tertullian أشهر علماء اللاهوت في الغرب في ذلك الوقت ، عندما انضم الى الحركة في السنوات الاولى من القرن الثالث حيث نجد تيرتوليان (ص ٢٦) يكتب عن معجزة عجيبة في فلسطين شوهدت مدينة مسورة في السماء في الصباح الباكر من كل يوم لمدة اربعين يوما وكانت تبتهت مختفية مع تقدم النهار ، وكانت هذه علامة أكيدة على أن القدس السماوية على وشك النزول وكانت هذه هي الرؤيا نفسها التي كما سنرى تلهب وتمتن مقاومة حشود الشعوب الصليبية وهي تكدح نحو القدس بعد ذلك بنحو تسعة قرون .

وفي توقع المجيء الثاني من يوم لأخر وأسبوع لأخر كلن المونتانيون يتبعون خطوات العديد من ، وربما أغلب المسيحيين الأوائل ، وحتى « كتاب الوحي » كان يتوقع حدوثها « قريبا » وبحلول منتصف القرن الثاني كان هذا الموقف قد أصبح نوعا ما غير عادي فقد كانت الرسالة الثانية لبطرس التي كتبت في نحو ١٥٠م مترددة :

فمن الرافة قد يتمهل المسيح « حتى يعود الجميع الى التوبة » وفي

الوقت نفسه بدأت عملية بها حرمت اسفار الرؤيا المسيحية من النفوذ الذي كانت حتى الآن تتمتع به بشكل قانوني ، الى حد انه لم ينج سوى كتاب الرؤيا وذلك فقط بسبب انه نسب خطأ الى القديس يوحنا ومع ذلك إنه وإن اعتقدت أعداد متزايدة من المسيحيين بأن الفترة الالفية بعيدة وليست حدثا وشيكا فإن العديد كانوا وما يزالون قانعين أنها ستأتي عند اكتمال الزمان .

ورسخ جوستين الشهيد Justin الذي لم يكن بالتأكيد مونتانيا هذه النقطة بوضوح كاف في حوار مع اليهودي تريفو Trypho ، وجعل هناك محاوره اليهودي يسأل : هل أنتم معشر المسيحيين تتمسكون حقا بأن هذا المكان « القدس » سيبنى مرة أخرى وهل تعتقدون حقا أن شعبكم سيجتمع هنا في بهجة تحت حكم المسيح مع البطاركة والأنبياء ؟

و اجابه جوستين إنه في حين ان هذا ليس موقف جميع المسيحيين الحقيقيين ، فهم لا يحملون هذه القناعة ، إنه هو وعدد كبير غيره متحدون في الايمان الوثائق بأن القديسين سيعيشون حقا الف عام في قدس معادة البناء مزينة وموسعة ، وسواء اكانت ناذية ام وشيكة ، إن مملكة القديسين يمكن بلا شك تصورها بطرق كثيرة مختلفة تتراوح من الاكثر مادية الى الاكثر روحانية ، ولكن بالتاكيد كانت تخيلات العديد حتى بين المتعلمين على اعلى مستوى من المسيحيين مادية بدرجة كافية ويقدم عينة قديمة من هذه التخيلات « الأب الرسولي » بابياس Papias ، الذي يحتمل انه ولد في نحو ٦٠ م ، والذي ربما يكون قد جلس عند قدمي القديس يوحنا وكان هذا الفريجيني رجل علم ، اوقف نفسه على حفظ الروايات الاولى عن دعوة المسيح ، ومع ان النبوءة الالفية التي يعزوها الى المسيح منحولة وغير منطقية - فإن نظائر لها موجودة في مختلف اسفار الرؤيا اليهودية مثل باروخ - ومن الأهمية بقدر كبير تبيان معدل ما توقعه بعض المتعلمين من المسيحيين المخلصين من فترة ما بعد

الحواريين ، وفوق ذلك ما اعتقدوه ان المسيح نفسه قد توقعه : (ص ٢٧)

« ستأتي الأيام وفيها ستظهر الكروم وكل منها عشرة آلاف غصن وعلى كل غصن ، عشرة آلاف فرع ، وعلى كل فرع حقيقي عشرة آلاف عنق على كل منها عشرة آلاف عنقود ، وفي كل عنقود عشرة آلاف عذبة وكل عذبة تعطي خمس وعشرون « ميثريتا » من النبيذ ، وعندما يمسك أحد القديسين بعنقود ، سيصبح عنقودا آخر أنا عنقود أفضل خذني وأحمد الرب من خلالي ، ومثل ذلك (قال الرب) إن حبة من القمح ستحمل عشرة آلاف سنبل ، وكل سنبل بها عشرة آلاف حبة ، وكل حبة تعطي عشرة أرطال من انقى الدقيق ، نظيف وصاف ، والتفاح والبذور والعشب ستعطي بنسب مماثلة ، وكل الحيوانات ستتغذى فقط على ما ستأخذه من الأرض وستكون مسالمة وودودة لبعضها وخاضعة تماما للإنسان. إن هذه الأمور قابلة للتصديق الآن من المؤمنين ، وسأل يهوذا لكونه كافرا خائنا : كيف يمكن لمثل هذا النمو أن يتم من قبل الرب ؟ ولكن الرب أجاب سيرى هذا الذين سيصلون الى هذه الأزمنة .»

وحمل ارنوبوس Iranueus الذي كان أيضا من اهالي أسبانيا الصغرى هذه النبوءات معه عندما جاء ليستوطن في بلاد الغال في نحو نهاية القرن الثاني.

وكأسقف لمدينة ليون وعالم لاهوت بارز يحتمل أن يكون قد فعل أكثر من أي إنسان آخر لترسيخ التصور الالفي في الغرب ، وتشكل الفصول الختامية لرسالته الكبيرة « ضد الهرطقة » مقتطفات أدبية مختارة شاملة حول المسيحية المنتظرة والنبوءات الالفية التي انتخبت من العهدين القديم والجديد» وتتضمن أيضا فقرة من بابياس ، وفي رأي ارنوبوس إنه جزء لازم من الارتونوكسية أن هذه الأشياء ستأتي في الواقع للمرء بهذه الأرض من أجل منفعة كل من الموتى الصالحين الذين سيبعثون ، والصالحين من الأحياء ، ويظهر

السبب الذي يعطيه لاقتناعه أن الجزء الذي تشغله التخيلات المعوضة ليس أصغر مما كان عليه في أيام رؤيا دانيال :

« حيث أنه حق أنه في هذه الخليقة التي كدحوا فيها وابتلوا أو امتحنوا بكل طريقة بالمعاناة، انهم يجب أن يلقوا الجزاء عن معاناتهم ، وإنه في هذه الخليقة التي قتلوا فيها من أجل محبة الرب يجب أن يحيوا مرة أخرى ، وإنه في هذه الخليقة التي تحملوا فيها العبودية يجب أيضا أن يحكموا، ولأن الله غني في كل شيء وكل شيء له ، إنه من الموائم بناء عليه ان تستعاد الخليقة نفسها الى حالتها البدائية ، وأن تكون دون تـأهيل تحـت سـيادة الصالحين »

وكان النمط لايزال هو نفسه في القرن الرابع عندما بدأ لاكتانيتوس البليغ Lactontius في كسب المتحولين الى المسيحية ، فلم يتردد في تقوية جذب الفترة الالفية السعيدة بما يتعلق بالانتقام الدموي من الفاسدين (ص ٢٨) :

« لكن الرجل المجنون (المسيح الدجال) سيقود وهو يغلي بغضب حقود جيشا ويحاصر الجبل الذي لجأ إليه الصالحون ، وعندما يرون أنهم قد حوصروا سيصيحون بصوت مرتفع طلبا لمعونة الرب وسيسمعونهم الرب وسيرسال لهم محررا ، ثم تفتح السماء بعاصفة ويهبط المسيح بقوة عظيمة يتقدمه سطوع ناري وحشد لاحصر له من الملائكة ، وكل هذه الجموع الكثيرة غير المؤمنة بالرب ستباد وستتدفق سيول من الدم وعندها يحل السلام ويقمع كل شر ، سيقوم الملك الصالح المنتصر بحساب عظيم على أرض الأحياء والأموات وسوف يحيل كل الوثنيين من الناس لاسمخرة تحت إمرة الصالحين الذين هم أحياء ، سيرفع الصالحين من الأموات الى الحياة الأبدية، وهو نفسه سيحكم معهم على الأرض وسيؤسس المدينة المقدسة ، ومملكة الصالحين هذه ستدوم ألف عام، وخلال هذا الوقت ستكون النجوم أكثر سطوعا ، وسيزداد سطوع الشمس

ولن يتناقص أو ينمحق القمر ، وسينزل مطر البركة من عند الرب صباحا ومساء ، وستحمل الأرض كل الثمار دون جهد من الانسان والعسل بوفرة سيقطر من الصخور وستتفجر ينابيع الحليب والنبيد ، وستدع وحوش الغابات توحشها وتصبح اليفة . . . ولن يعيش أي حيوان مفترس بعد ذلك على سفك الدماء فسيمد الله الجميع بطعام وافر غير أثم »

وعلى صفحات الكوموديانوس Commodis nus بلور شاعر لاتيني من الطبقة الدنيا (ربما) في القرن الخامس التخيلات المعتادة للنصر والانتقام في حث على حمل السلاح والقتال مفاجيء ، فكان أول نذير للالفة الصليبية التي قدر لها أن تتفجر في أوروبا في أواخر العصور الوسطى ، حيث طبقا للكوموديانوس عندما يعود المسيح سيكون على رأس جيش ليس من الملائكة ، بل من نسل الأسباط العشرة التائهة من بني اسرائيل الذين بقوا في أماكن خفية غير معروفة لبقية العالم ، وعرض « هؤلاء الناس الأخيرون المقدسون » كمجتمع فاضل وحيد لايعرف شيئا عن الكراهية والخداع أو الشهوة ، ويحمل كراهيته لسفك الدماء الى حد النباتية ، إنه ايضا مجتمع مؤيد من الرب لأن لديه مناعة تامة ضد التعب ، والمرض والموت قبل الأوان ، والآن يسرع هذا الحشد لتحرير القدس « الأم الأسيرة » « وهم سيحضرون مع ملك السماء وستبتهج كل الخليقة لرؤية الشعب السماوي ، فتسطح الجبال نفسها امامهم وستتفجر الينابيع على طول طريقهم ، وستتحني السحب لحمايتهم من الشمس، ولكن هؤلاء القديسين سيكونون محاربين ضاربين، لايقاومون في الحرب ، غاضبون كالأسود يخربون الأراضي التي يعبرونها ويهزمون الأمم ويدمررون المدن ، وبإذن الرب يغنمون الذهب والفضة وينشدون التراتيل للأفضال التي تغمرهم ، ويهرب المسيح الدجال في خوف الى الأجزاء الشمالية (ص ٢٩) ويعود على رأس جيش من الأتباع الذين من الواضح أنهم أولئك الناس الخرافيين الخيفيين الذين يعرفون بشكل جماعي باسم يأجوج ومأجوج ، والذين يقال إن الاسكندر الأكبر قد سجنهم في أقصى

الشمال ، غير ان المسيح الدجال سيهزم على يد ملائكة الرب وسيطرح في الجحيم .

وسيحول قاداته ليصبحوا عبيدا للناس المقدسين ، وهم الناجون القلائل من الحساب الاخير ، وبالنسبة للناس المقدسين انفسهم ، فإنهم سيعيشون الى الأبد في القدس المقدسة خالدين لايهزمون ويتزوجون وينجبون ولايصابون بالمطر أو البرد في حين ان كل ما هو لهم ارض مجددة الشباب الى الأبد تصب ثمارها .

التقاليد الروئية في اوربا العصور الوسطى

راى القرن الثالث المحاولة الاولى لتكذيب الالفية ، عندما بدأ أوريجن Origen ، ربما الأكثر نفوذا بين كل علماء اللاهوت في الكنيسة القديمة بتصوير المملكة كحدث يمكن أن يقع لاني المكان ولا في الزمان بل فقط في نفوس المؤمنين ، وبشكل جماعي استبدل أوريجن إيمان الالفين بالأخرويات بإيمان أخروي بالروح الفردية ، والذي حرك روحه المتعمقة في الخيال الهلنستي ، كان مظهر الرقي الروحي الذي بدأ في هذا العالم ليستمر في العالم الآخر ، ولهذا الموضوع شرع علماء اللاهوت من الآن فصاعدا يعطون اهتماما متزايدا ، وبات مثل هذا التحول في الاهتمام في الواقع موانما بشكل مثير للاعجاب لما أصبح الان كنيسة منظمة تتمتع بسلام غير منقطع تقريبا ، وموقف معترف به في العالم ، وعندما بلغت المسيحية في القرن الرابع موقعا ساميا في عالم البحر المتوسط ، واصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية ، أصبح الرفض الكنسي للالفية مؤكدا ، واصبحت الكنيسة الكاثوليكية الان مؤسسة قوية مزدهرة ، تعمل وفق روتين راسخ تماما ، ولم يكن لدى الرجال المسؤولين عن إدارتها رغبة في رؤية المسيحيين يتعلقون باحلام عتيقة وغير موائمة

عن جنة ارضية جديدة ، وفي وقت مبكر من القرن الخامس قدم القديس أوغسطين المذهب الذي تطلبت الظروف الجديدة .

وطبقا لما جاء في كتاب « مدينة الرب » كان ينبغي فهم سفر الرؤيا كرمز روحي ، وبالنسبة للالفية التي بدأت مع مولد المسيحية وفهمت تماما في الكنيسة ، أصبحت هذه على الفور عقيدة ارثوذكسية ، والآن إن الحقيقة المؤكدة هي ان ارنوريوس البارز والمحترم قد يكون عدّ مثل هذا الاعتقاد جزءا لازما من الارثوذكسية ، شعر انه لا يمكن التغاضي عنه وبذلت جهود مصممة لطمس الفصول الالفية من بحثه ضد الهرطقة ، وبمفعول جيد ، حتى انها قد اكتشفت فقط في عام ١٥٧٥ في مخطوط حدث ان المنقحين قد غفلوا عنه . (ص ٣٠)

ومع ذلك ينبغي ان لا يقلل من أهمية التقاليد الرؤوية مع ان المذهب الرسمي لم يعد فيه مكان لها ، فلقد بقيت في العالم السفلي المظلم للديانة الشعبية الشائعة ، وبفضل التقاليد أصبحت فكرة القديسين من نوي المستوى الأعلى منتشرة على نطاق واسع بالقوة نفسها في بعض الدوائر المسيحية كما كانت دائما بين اليهود ، مع انه منذ ان ادعت المسيحية بأنها دين عالمي لم تعد تفسر بالمعنى الوطني ، وفي المسيحية الرؤوية بقيت تخيلات الانتخاب الالهي ، واحييت ، واصبحت الاساس في الادب الذي دشّن يسفر الرؤيا الذي شجع المسيحيين على ان يروا انفسهم كشعب مختار من الرب - واختير كلاهما من اجل إعداد الطريق لاجل ولوراثة الالفين ، وكان لهذه الفكرة جانبية كبيرة حتى ان أي إدانة رسمية لم تكن لتمنع ظهورها مرات ومرات في عقول المحرومين من المزايا ، والمسحوقين ، ونوي التوجيه السيء وغير المتوازنين ، وقد اظهرت الكنيسة المؤسساتية في الواقع مهارة بالغة في التحكم في ، وفي توجيه الطاقات الانفعالية للمؤمنين وبشكل خاص في توجيه الأموال والمخاوف بعيدا عن هذه الحياة نحو الحياة الاخرى ، ولكن مع ان جهودها كانت ناجحة بشكل طبيعي .

إنها لم تكن كذلك بصورة دائمة ، وبشكل خاص في أوقات عدم الثقة العامة أو القلق حيث يكون الشعب دائما عرضة للتحويل إلى سفر الرؤيا والحواشي التي لاحصر لها عليه ، وإلى جانب ذلك ظهر تدريجيا موضوع آخر له تأثير مساو للكتابات الرؤوية التي أصبحت تعرف الآن باسم وسطاء الوحي « السبليونيون » في العصور الوسطى .

وتضمنت الرؤى اليهودية الهلنستية بعض الكتب التي ادعت مثل الكتب السبليونية الشهيرة المحفوظة في روما ، أنها تسجل أقوال نبيات ملهمات ، وفي الواقع إن هذه « الهواتف » المكتوبة بتفاسيل سداسية يونانية ، كانت انتاجا ادبيا يرمي إلى تحويل الوثنيين إلى اليهودية ، والتي كانت في الواقع تتمتع برواج عظيم بينهم ، وعند الاهتمام إلى الدين الجديد بدأ المسيحيون بدورهم في اقرار نبوءات سبليونية وهنا استمدوا الكثير واعتمدوا على السبيلين اليهودي ، وما برح هذا الادب النبوي الجديد يعرف مخلصا آخرويا واحدا هو المسيح المحارب كما ظهر في سفر الرؤيا ، ولكن منذ الاسكندر الأكبر كان العالم اليوناني - الروماني قد تعود على تأليه ملوكه او تعظيمهم حتى العبادة ، وكان هناك ملوك هلنستيون ممن حملوا لقب « المخلص » واباطرة رومان ممن منحوا القباب تشریف الهية في حياتهم وعليه لم يكن من المدهش أنه حالما وحدت المسيحية قواتها مع الامبراطورية ، بات على السبيلين المسيحي ان يحيي الامبراطور قسطنطين على أنه الملك المسيحي المنتظر (ص ٣١) وبعد موت قسطنطين استمر السبيلين في ربط أهمية أخروية بشخص الامبراطور الروماني وفضلهم ازدوجت تخيلات المسيحيين لاكثر من الف سنة حول صورة المسيح المحارب وتضاعفت باخر هو امبراطور الايام الاخيرة .

وكان اقدم سبيلين معروف لاوروبا العصور الوسطى هي التبورييتنا التي تعود بصورتها المسيحية الى اواسط القرن الرابع من ٣٤٠ - ٣٥٠ م ، ووقتها كانت الامبراطورية مقسمة بين

الابندين الباقيين لقسطنطين :كونستانس الاول الذي حكم في الغرب وكونستانتينوس الثاني الذي حكم في الشرق ، وكان الجدل الاريوسي في اوجه ، وبينما كان كونستانس مؤيدا قويا مخلصا للعقيدة وحاميا لاثناسيوس - كان كونستانتينوس ميالا للاسس السياسية اكثر منه للاسس الدينية - ومؤيدا للطرف الاريوسي ، وفي ٣٥٠ م قتل كونستانس الذي ثبت انه حاكم فاسد شرير على ايدي قواته ، واصبح كونستانتينوس الحاكم الوحيد للامبراطورية ، ويعكس السبيلين التبور تيني ردود فعل الكاثوليك تجاه هذه العقبة ، فهو يتحدث عن « زمان الاحزان » ، عندما تقع روما في الاسر ويضطهد الطفلة الفقراء والابرياء ويحرمون المذنبين ، ولكن يأتي حينئذ إمبراطور يوناني يدعى كونستانس يوحد النصفين الغربي والشرقي من الامبراطورية تحت حكمه .

وبحضور مسيطر حكم كونستانس الطويل ، ذا الجسم المتناسب والوجه المتلألئ الجميل ١١٢ (او ١٢٠) سنة ، وكان عصره عصر وفرة : زيت ، نبيذ ، قمح ، مواد متوفرة ورخيصة ، وهو ايضا عصر سيرى النصر النهائي للمسيحية ، فالامبراطور سيدمر تدميرا تماما مدن الوثنيين ، وسيدمر معابد الالهة المزيفة ، وهو سيستدعي الوثنيين انفسهم للتعميد المسيحي ، والوثنيون الذين سيرفضون التحول يجب ان يموتوا بالسيف ، وفي نهاية الحكم الطويل سيتحول اليهود ايضا ، وعندما يحدث ذلك ، يضيء الضريح المقدس في بهاء وسيتحلل الاثنى عشر شعب لياجوج وماجوج من قيودهم ، وهم بكثرة رمال البحر ، ولكن الامبراطور يحشد جيشه ويبيدهم ، وما أن تنتهي مهمته سيرحل الامبراطور الى القدس ، ليضع هناك التاج الامبراطوري والارضية على الجلجلة ، ومن ثم يسلم العالم النصراني لعناية الرب ، وبلغ العصر الذهبي ومعه الامبراطورية الرومانية النهاية ، ولكن قبل نهاية كل شيء يبقى وقت قصير للابتلاء ، حيث يظهر الآن المسيح الدجاج ويحكم في المعبد في القدس ، ويخدع العديد بمعجزاته ويضطهد الذين لا يستطيع خداعهم ، ومن اجل المختار سيقصر الرب هذه الايام ، وسيرسل

الملك الكبير ميكايل ليدمر الدجال ، وفي النهاية سينفتح السبيل امام المجيء الثاني ليحل . (ص . ٣٢) .

ويلوح شخص امبراطور الايام الاخيرة الذي قدم للمرة الاولى من قبل التبورتيينا انه اكبر منه في السبلين المعروف باسم « المنهج الكانب » والنبوءة التي كانت متذكرة ، كعمل لأسقف القرن الرابع الشهيد ميثادايوس أسقف البتراء كانت في الحقيقة قد صنفت في حوالي نهاية القرن السابع ، وكان هدفها الاساسي ايجاد تعزية للمسيحيين السوريين في وضعهم الصعب غير المألوف كأقلية تحت الحكم الاسلامي ، وهو يبدأ بمسح لتاريخ العالم من جنة عدن الى الاسكندر ، ثم يمر في مجلد واحد بزمن المؤلف نفسه ، وتحت مظهر التنبؤ بأشياء ستحدث يصف كيف ان الاسماعيليين الذين هزمهم جدعون مرة ودفع بهم للعودة الى صحاريهم عادوا وعاثوا في الأراضي من مصر الى اثيوبيا ، ومن الفرات الى الهند ، والمسيحيون سيعاقبون على خطاياهم باخضاعهم بعض الوقت من قبل هذه القبائل البدوية التي ترمز بالطبع الى الجيوش الاسلامية الفاتحة ويقتل الاسماعيليون الكهنة المسيحيين ، وينتهكون حرمة الأماكن المقدسة ، وبالقوة او الخداع يغررون بالعديد من المسيحيين ويحرفونهم عن العقيدة الصحيحة ، يأخذون من المسيحيين قطعة من الأرض بعد قطعة ويتفاخرون بأن المسيحيين قد سقطوا في أيديهم الى الأبد .

ولكن - وهنا تغامر النبوءة حقاً للمرة الاولى في توقعات المستقبل ما أن تصبح الحالة سيئة أكثر مما كانت ، حتى نجد امبراطورا قويا اعتقد الناس أنه مات منذ زمن طويل ينفذ عنه النعاس ، وينهض في غضب ، ويهزم الاسماعيليين ، ويدمر تماما اراضيهم بالنار والسيف ويضع عليهم نيرا أكثر قمعا بمائة مرة من الذي وضعوه على المسيحيين ، ويغضب أيضا من المسيحيين الذين تنكروا لربهم ، ثم يتبع ذلك فترة من السلام والبهجة تتحد خلالها الامبراطورية في ظل حاكمها العظيم وتزدهر كما لم تفعل من قبل .

ولكن حشود يأجوج ومأجوج عندئذ تنطلق وتحدث خرابا شاملا ورعبا حتى يرسل الرب قائداً من جيش السماء يدمرهم في ومضة ثم يرحل الامبراطور الى القدس لينتظر هناك المسيح الدجال وعندما يحدث هذا الحدث المروع يضع الامبراطور تاجه فوق الصليب في الجلجلة ويحلق الصليب الى السماء، ويموت الامبراطور ويبدأ حكم المسيح الدجال ، ولكن قبل مضي وقت طويل يعود الصليب للظهور في السماوات كعلامة على ابن الانسان ، ثم يأتي المسيح نفسه على السحب في قوة وبهاء ، ليقتل الدجال بالزفير من فمه وليقوم بالحساب الاخير .

وقد انتهت الحالات السياسية التي اثارت هذه النبوءات وفقدت من الذاكرة وقائعها ، ومع ذلك احتفظت النبوءات بكل فتنتها ، و خلال فترة العصور الوسطى استمر الايحاء بالآخريات السبليزية الى جانب الايمان الآخروي المستمد من سفر الرؤيا ، معدلا إياها او معدلا بفعلها ، و لكن بشكل عام كان يتجاوزها الى الشعبية (ص ٣٣)

ومع ان السبليزيين كانوا غير قانونيين (شرعيين) وغير اصوليين فإنه كان لهم نفوذ كبير - في الواقع باستثناء الكتاب المقدس وكتابات آباء الكنيسة - ربما كانت كتاباتهم الأكثر تأثيرا في العصور الوسطى في أوروبا وكثيرا ما كانوا يملون البيانات على الشخصيات المهمة في الكنيسة والرهبان والراهبات مثل القديس برنارد والقديس هيلدغارد اللذان كانت آراؤهما مقدره حتى من البابوات والباطرة الى حد اعتبارها ملهمة من الرب ، و علاوة على ذلك اثبتوا أنهم قابلين للتكيف بلا حدود ، وكثيرا ما كانت كتاباتهم تحرر ويعاد تفسيرها لمواءمة الأحوال ولتكتسب جاذبية بالنسبة لشواغل اللحظة ، وكانت تقدم في كل وقت لأشباع رغبات المتلهفين من البشر الى نبوءة لا تقبل الجدل عن المستقبل ، وبالفعل عندما وضعت النصوص الوحيدة المعروفة في الغرب باللاتينية وأصبحت بساء على ذلك في متناول رجال الاكليروس فقط فإن بعض المعرفة عن

فحواها قد تسربت حتى إلى أدنى المراتب من العامة ، و منذ القرن الرابع عشر و ما بعده بدأت التراجم في الظهور باللغات الأوربية المختلفة ، و عندما اخترعت الطباعة كانت هذه التراجم بين أول الكتب التي طبعت ، و في وقت قريب من نهاية العصور الوسطى عندما كانت المخاوف والآمال التي شككت في البداية نبوءات السبليين لمدة تقارب الف سنة ماضية أو أكثر من الماضي ما برحت هذه الكتب تقرأ و تدرس في كل مكان .

و تتحدث تقاليد يوحنا (★) عن محارب مخلص ينتظر أن يظهر في الأيام الأخيرة ، و تتحدث تقاليد السبليين عن اثنين ، ولكن كليهما يذفقان أنه في تلك الأزمان سيظهر عدو رئيس للرب ، هو شخصية غير عادية للمسيح للدجال ، و كانت هذه شخصية أسهمت فيها معظم التقاليد المختلفة ، و أصبحت رمزا قويا بقدر ما هو معقد ، و هنا مرة أخرى كان تأثير رؤيا دانيال حاسما ، و عندما تكلمت هذه النبوءة عن « ملك سوف يرفع نفسه ويعظمها فوق كل إله »

«ويتكلم بكلمات عظيمة ضد الله كانت تشير سرا الى الملك الظالم أنتيوخوس أيفانوس الذي كان في الواقع مصصبا بجنون العظمة ، ولكن أصل النبوءة سرعان ما نسي حتى بينما كان سفر دانيال ما يزال معتبرا من الكتب المقدسة التي تنبأ بأمر مستقبلية ، و بانفصاله عن محيطه التاريخي أحييت الشخصية الطاغية المعادية للرب في الأيام الأخيرة الى الرصيد الشائع من المعرفة الرؤوية اليهودية والمسيحية فيما بعد

وفي كتابات القديس بولس الى التسمالو نيكين وفي سفر الرؤيا تظهر هذه الشخصية على أنها المسيح الدجال « الذي يعارض ويرقع نفسه فوق كل ما يدعي رب ، أو ما يعبد ، وهكذا فإنه كاله يجلس في

★ - اي التي تستند الى سفر الرؤيا الذي يعزى الى يوحنا

معبد الرب مظهرا نفسه انه الرب ... وبالايات والاعاجيب الكاذبة التي سيقوم بها النبي الكاذب من خلال قوى الشيطان سيخدع العالم ، وعلى السطح سيبدو فاضلا تماما وخيرا ، ومع ان شره عام فانه سيتمتع بخبث شديد وسيمكنه ذلك من اقامة حكم طاغ بالغ القوة : وقد امكن له شن حرب على القديسين والتغلب عليهم وسيعطى القوة على كل العشائر وكل الالسن والامم « (ص ٣٤)

وهذه الشخصية التي اعطيت الآن اسم المسيح الدجال يمكن بناء على ذلك اعتبارها كائنا بشريا ، امبراطورا او اميرا او اسقفا يكون في ان واحد مغو وقاس ، اضافة الى كونه خادما واداة للشيطان ، ولكن المسيح الدجال لم يعتقد ابدا بأنه مجرد رجل مهما كان شريرا ، وتسربت توقعات الفرس (المزديين) بهزيمة الشيطان الكبير اهرمان في اخر الايام المحبوكة مع الاسطورة البابلية حول معركة بين الاله الرسمي وتذين الفوضى ، الى الرؤية اليهودية ، واثرت بعمق في تخيلات طاغية اخر الزمان ، وبالفعل في نبوءة دانيال ، فان انتيوخرس لا يظهر فقط كملك ذي ملامح عنيفة بل ايضا كمخلوق ذي قرون تتعاضم وتطول حتى بالنسبة لجيش السماء ، وحتى تطرح بعض حشود السماء ، والنجوم على الارض وتطأهم ، وتختبم عليهم ، وفي سفر الرؤيا ان الدور التقليدي للمسيح الدجال مقسم بين الوحش الاول - التنين العظيم الاحمر الذي يظهر في السموات ، او ينهض من البحر وهو بسبعة رؤوس وعشرة قرون - والوحش الثاني - الدابة الهائلة ذات القرون التي تتكلم كتنين ، والتي تخرج من هدة لاقاع لها بداخل الارض

وهنا ظهرت شخصية المسيح الدجال في شخصية الدابة ذات القرون التي تسكن في أعماق الأرض « الأفعى القديمة الشيطان نفسه » وخلال جميع القرون استمر الدجال في شغل خيال الناس والهابة واحتفظ بنوعيته الشيطانية ، وخلال العصور الوسطى كان لايصور فقط بصورة طاغية متوج بل ايضا كشيطان او تنين يطير في

الهواء يحيط به شياطين اصغر ، ويحاول ان يطير عاليا ليثبت انه اله وهو يقذف به نحو موته من قبل الله (الصورة ١) وفي وسط القرن الثاني عشر راه القديس هيلدغارد أوف بنجن في رؤيا في صورة وحش ذي رأس رهيبه لدابة سوداء كالفحم وعينين ملتهبتين وأذني جدش ومعدة متشعبة ذات اشواك حديدية .

وفي الواقع كان المسيح يشبهه شيطان ، تجسيد ضخم عملاق لقوة فوضوية مدمرة ، ولتقدير كيف كان الشعور بمدى عدم محدودية القوة لديه ، وكم هي خارقة للقدرة البشرية ، وكم هي مرعبة ان على المرء ان ينظر فقط في صورة ملكيورلورك للشيطان - المسيح الدجال (هو هنا شبيهه بالبابا) (الصورة ٢) ويعود تاريخ هذه الصورة الي وسط القرن السادس عشر والانفعال الذي تعبر عنه هو مزيج من الرعب والكرهية والازدراء ، وكانت تزعج الأوروبيين منذ قرون عديدة خلت (ص ٣٥)

وقد اثرت النبوءات السبيلينية ونبوءات يوحنا في المواقف السياسية ، وبالنسبة لشعوب العصور الوسطى ، فالدراما المذهلة للأيام الأخيرة لم تكن خيالاً حول مستقبل بعيد غير محدود ، بل كانت نبوءة مؤكدة تقريبا وفي اي لحظة معينة تعطي احساسا بكونها وشيكة التحقيق ، وتظهر حوليات العصور الوسطى لتاريخ الأحداث بوضوح كاف كيف ان احكاما سياسية خاصة كانت تتلون بهذه التوقعات ، وحتى في العهود الأكثر بعدا عن الوفاء بالغرض حاولت الحوليات ان تدرك ان الانسجام بين المسيحيين ، وان الانتصار على الكفار وان تلك الوفرة التي لانظير لها والازدهار ستكون من علامات العصر الذهبي ، ومع كل ملك جديد تقريبا حاولت رعاياه ان ترى فيه اخر امبراطور عليه ان يترأس العهد الذهبي ، بينما كانت الحوليات تضيف عليه الذعوت المسيحية التقليدية « ملك عادل » او ربما داود ، وعندما كانت تجربة كل زمان تأتي بالتححرر الذي لامفر منه من الوهم ، كان الناس يكتفون بمجرد ان التحقيق البهسي قد تأجل الي العهد التالي ، واذا استطاعوا اعتبروا الملك الحاكم

كبشير عليه مهمة جعل الطريق ممهدا من اجل الامبراطور
الاخير ، ولم يكن هناك ابدا اي نقص في الملوك لتوسم بدرجات
مختلفة من الاخلاص او الملاحظات الساخرة حول هذه الامال الملحة
وفي الغرب كانت الاسر الحاكمة في كل من فرنسا والمانيا تستثمر
النبوءات السبيلية لدعم ادعاءاتها بالاهمية ، كما فعل الابطاطرة
البيزنطيون قبلهم في الشرق

وكان قدوم المسيح الدجال منتظرا حتى بتوتر كبير ، وعاش جيل
بعد جيل في توقع مستمر للشيطان المدمر لكل شيء الذي كان حكمه
مقدرا له ان يكون اضطرابا غير قانوني ، عصر متروك للسرقعة
والسلب والاغتصاب والتعذيب والمذابح ولكن من المقدر له ان يكون
ايضا مقدمه لتحقيق المجيء الثاني لمملكة القديسين المترقب بشوق
عظيم ، فقد كان الناس دائما في ترقب للعلامات التي طبقا للتقاليد
النبوية مقدره ان تكون مبشرة ومصاحبة للزمن الاخير للمتاعب
وحيث ان العلامات تشمل حكاما سيئين وحربا اهلية وتششتنا
وجفافا ومجاعة ووباء ومذنباتا ووفياتا فجائية لأشخاص بارزين
وزيادة في الخطايا العامة لم يكن هناك ابدا اي صعوبة في ايجادها
والغزو او التهديد بالغزو من قبل الهون والمجر والمغول والمشاركة
او الترك كان دائما يحرك ذكريات تلك الدشود حول المسيح
الدجال ، وشعوب يأجوج ، وفوق كل شيء كان اي حاكم يمكن ان
يعتبر طاغية مرشحا لأخذ سمات المسيح الدجال ، وكانت الحوليات
العادية تعطيه اللقب التقليدي « ملك ظالم » وعندما يموت مثل هذا
الملك تاركا النبوءات دون تحقيق فانه سينخفض من مجرد ملك
عادل ، الى مرتبة « عابر » ثم يستأنف الانتظار (ص ٣٦) .

وهنا ايضا كانت فكرة اسلمت نفسها بصورة مثيرة للاعجاب
الاستثمار السياسي وكثيرا ماحدث ان اعلن أحد الباباوات في وقار
خصمه - امبراطورا عنيفا او ربما عدوا لبابا- ليكون هو المسيح
الدجال نفسه واذا ذاك فان اللقب نفسه يلقي عليه.

ولكن اذا كانت الخيلات التقليدية حـول الايام الاخيرة تـؤثر باستمرار على الطريقة التي كان ينظر بها الى الاحداث السياسية والشخصيات واللغة التي كانت تدار بها الصراعات السياسية ، انه فقط في بعض حالات اجتماعية ، كانت تعمل كأساطير اجتماعية ديناميكية وفي الوقت المناسب سـتفحص ماهي هذه الحالات ، ولكن من الضروري اولا القاء نظرة على تقاليد الانشقاق الديني الذي كان موجودا دائما في أوروبا العصور الوسطى والذي كان من الممكن احيانا ان ينتج مدعين لأدوار المسيح المخلص ، او نصف مثل هذه الأدوار .